بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 15 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:07\12\2022 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

توقفنا في البحث السابق عند هذا السؤال، ما هو الوجه في هذا اللف والنشر المشوش من ناحية ذكر الفرقتين والطائفتين قدم الشاكر على الكفور، ومن ناحية الوعيد والوعد وبيان العاقبة قدم عاقبة الكفور على عاقبة الشاكر، ما هو الوجه في ذلك؟

قلنا بأن العلامة الطباطبائي ﷺ اختار أم السبب في ذلك هو كون الكلام عن عاقبة الكافر مختصراً، وفي العادة المتكلم يقدم الكلام المختصر على الكلام الطويل.

وربما يكون الوجه في هذه العادة أن لا يبقى السامع والمخاطب منتظراً بعد الملل، إذا أتيت لك بكلام طويل، فهذا الكلام الطويل قد يوقعك في الملل، عندما يأتي الشيء الأخير وإن كان مختصراً يكون هذا الإنسان لا يوجد عنده قدرة على الالتفات إليه فيضيع.

بخلاف ما لو قدمت لك الأمر المختصر، تعيه وأنت في كامل قوتك الإدراكية، ثم أبدأ بالأمر طويل الأمر الطويل فيتشوق السامع إلى إنهاء أمره وإنهائه قصته، فعنده محفز لذلك. فلعل السبب في ذلك هو هذا الأمر متعارف عند الناس.

لكن هذا التبرير لوحده لا أراه كافياً، نحتاج إلى ضمائم إليه، لا ينقطع السؤال، يمكن أن نقول لماذا كان الكلام عن عاقبة الكافر مختصراً والكلام عن عاقبة الشاكر مطولة، فلا ينقطع السؤال. من جملة هذه الضمائم:

الضميمة الأولى: أن عاقبة الشاكر ترتبط بقصة واقعية فأراد أن يوصل هذه العاقبة بتلك القصة، فناسب أن يذكرها في الختام حتى تكون القصة في سياق عاقبة الشاكر، وهي قصة التصدق التي سوف يأتي الحديث عنها إن شاء الله.

الضميمة الثانية: في عاقبة الكافر والمنكر ولو عملاً لنعم الله تبارك وتعالى، جاءت على نحو الاختصار والاستعجال لأحد سببين لا مانع من اجتماعهما:

السبب الأول: التهويل.

الإجمال في الوعيد يوقع الرعب والخوف في قلب السامع ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ ما غَشِيَهُم﴾[1] فلا يعلم مساحة ما غشيهم، فهذا الإجمال فيه شيء من التهويل، فكل عدد تفرضه في ذهنه ربما يكون أكثر، فبشكل مختصر يعطيك شيء من الرعب والتهويل، باختصار في عاقبة العذاب تتناسب مع التهويل.

السبب الثاني: فيه إشارة إلى عدم الالتفات إليهم، لا نريد أن نطول الكلام عنهم، هذا أمره واضح، إذ يساقون بسلاسل والأغلال في أيديهم وأعناقهم، وإلى جهنم وبئس المصير. وأعطى المجال المتكلم لنفسه أن يطنب ويفصل في عاقبة الشاكر.

إذاً بهذا البيان يكون قد اتضح لدينا وجه التقديم، ووجه الاختصار أيضاً. فهذا التقديم الابتدائي مع الإجمال فيه مضافاً إلى ما فيه من التهويل والتخويف يدل على عدم العناية، بينما عاقبة الأبرار والشاكرين فيها تمام العناية، اهتم بها، أخرّها لكي يفصل بها، فحينئذ يكون هناك انسجام كامل في هذه الآية المباركة وما يأتي بعدها.

البحث الأخير: يرتبط بكلمة ﴿سَلاسِلَ﴾ هذه الكلمة قرأت بقراءتين:

القراءة الأولى: سلاسلاً، بالتنوين.

القراءة الثانية: ﴿سَلاسِلَ﴾ بدون التنوين.

لا شك أن هذه الكلمة على صيغة منتهى الجموع، وهي ممنوعة من الصرف، فكيف يوجه فيها قراءة التنوين؟

هناك كلام بين الذين يهتمون بالأمور النحوية في القرآن الكريم، البعض ادعى أن الممنوع من الصرف بتمام صيغه إلا أفعل، فبتمام صيغه صرفه الشعراء، وهؤلاء كأنهم لا يسلمون أن تصرف الشعراء

[1] طه: 78

على خلاف القاعدة وللضرورة، بل يرون أن الأصل في كلام العرب هو الشعر. فإذاً الممنوع من الصرف يجوز صرفه، حينئذ تتغير القاعدة النحوية التي في أذهاننا أن من كان على وزن كذا وكذا يجوز فيه الوجهان، التنوين وترك التنوين. لكن هذا هو خلاف مشهور عند النحاة.

البعض رأى أنه لأجل التطابق، خالفنا القاعدة النحوية لأجل قاعدة بديعية، القاعدة النحوية تقتضي أن تقول سلاسلَ، خالفناها وقلنا سلاسلاً حتى تتطابق مع الكلمات الموجودة في الآية ﴿إِنَّا أَعْتَدْنا لِلْكافِرينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعيرا﴾ فحتى يحصل تطابق وتشاكل لفظي خالفنا تلك القاعدة النحوية.

جماعة آخرون قالوا إن أصحاب هذه القراءة تأثروا بالشعر، فجرى لسانهم على ما يفعله الشعراء من صرف ممنوع من الصرف وإلا القاعدة تقتضي أن لا ينون.

فعلى كل تقدير هذه قراءة، ولعل القراءة المشهورة هي ترك التنوين.

مع ترك التنوين يأتي سؤال في الخط والإملاء، إذا كان ممنوعاً من الصرف فلماذا أتينا بالألف في الكتابة؟ فعادة في الكتابة القرآنية يوجد ألف.

الأمر في ذلك سهل، هذه الألف تسمى في اللغة العربية وفي النحو بألف الإطلاق، والف الإطلاق التي تتولد من مد الفتحة، إذا العربي مد الفتحة حتى نعرف بأنه مدها نأتي في الكتابة بألف تسمى بألف الإطلاق.

وهذا النظير ما قرأ به قوله تبارك وتعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾[2] فإذا تريد تقف فأصلها منون، فالذي يدخل عليه الألف واللام لا ينون، فينبغي أن تكون بدون ألف، فنقول هذه الألف تولدت من إشباع الحركة. والأمر في ذلك سهل.

والشاهد على أن السلاسل للأقدام والأغلال للأيدي والاعناق آية أخرى وردت في سورة غافر، وهي قوله تبارك وتعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلالُ في أَعْناقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُون﴾[3] الأغلال للأعناق تغل الأيدي إلى الأعناق، والسلاسل للجر، فهذه القافلة قافلة أهل الكفر بهذه الصورة التي تضعها هذه الآية المباركة

---

[2] الأحزاب: 10
[3] غافر: 71

بمرأى من المشاهد على الرغم من اختصارها تعطينا حالة من الرهبة والخوف الذي يزلزل كيان الإنسان فيسعى لكي لا يكون مع هذه القافلة ﴿إِنَّا أَعْتَدْنا لِلْكافِرينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعيرا﴾

فلم يقل جريناهم بسلاسل وقيدناهم بأغلال ثم سحبناهم وأدخلناهم إلى النار، فلم يذكر النتيجة، وإنما ذكر وسائل العذاب. كما نشاهد في بعض الأحيان في التلفاز إذا واحد أدخلوه للاعتراف فقط يجعلونه يرى وسائل ويبقى الذهن يسرح فيها، فهذا نوع من التهويل، فيبقى الذهن يسرح أن هؤلاء بهذه الآلة يأخذون أسناني أو يأخذون عيني، فيبقى هذا الرعب قائماً في نفس الإنسان.

هذه الآية المباركة قالت نحن هيأنا وسائل العذاب السلاسل والأغلال والسعير، بخلاف الآية في سورة غافر، بينت سير هذه القافلة، إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون، فهذه الآية فيها من التهويل والتخويف ما لا يخفى.

خلاصة المطلب في هذه الآية المباركة: أن الله تبارك وتعالى ذكر لنا عاقبة الكافر والذي لا يعمل بمقتضى نعم الله تبارك وتعالى ولم يهتد بهدايته، فصور لنا تصويراً بيانياً مناسباً لصورة هذه العاقبة، جماعة من الناس يقادون بسلاسلَ في أرجلهم، وفي الوقت نفسه نرى أن أيديهم مغلولة إلى أعناقهم، بهذه الحالة الكاشفة عن المذلة يسافون إلى السعير، ويساقون إلى النار المشتعلة.

وبهذا يكون قد تم الكلام في الآية الرابعة.